al-Akhlaq, vol. 2, no. 2 (Feb 1921) pp. 8-9
Tannous, Victoria "The Engagement"

الخطبة

بقلم فكتوريا طنوس

التقيت منذ اسبوعين بينما كنت مارة في احد شوارع مدينة بروكلن بشاب كنت قد تعرفت عليه منذ سنتين اذ انى من الداخلية لكي يخطب فتاة نيويوركية وكنت انا من جملة الذين حضروا حفلة الخطبة. ولما رايته هذه المرة في بروكلن علمت انه ات لاجل العرس اذ لا شغل له في المدينة العظمى فهو يتعاطى بيع الاطيان في الداخلية. فسررت لرويته واظهر هو ايضا سرورا غير المعتاد عند مقابلتي وقال بعد التحية «ربما لا تصدقين ان قلت لك انك انت الشخص الذي كنت ابحث عنه — فاني بحاجة عظيمة الى نصيحة صديق ولست اظن باني ساجد صديقا او صديقة انسب منك فانت قادرة ان تساعديني ان شئت» قلت «هات ما عندك فكلي اذان صاغية» وقد جالت بفكري في تلك الدقيقة عدة اسئلة جميعها تدور حول محور واحد وهو. من اية وجهة يا ترى يطلب نصيحتي ومساعدتي؟ من جهة العلم فهو اعلم مني ومن جهة المال احواله حسنة جدا (شبعان) بقيت مسالة الزواج — هل يا ترى يطلب نصيحتي في مسالة كهذه — وماذا عساني ان انصحه وهل ساكون عادلة في النصح ام لا؟ مرت هذه الاسئلة في مخيلتي في لحظة ولم انتبه الا وهو يقول «هل انت صاغية يا صديقتي فاسرد لك قصتي»؟

اجبت — وقد استفقت من غفلتي — نعم اني صاغية لحديثك فاخبرني قصتك بشرط ان لا تخفي علي شيئا فلا اكون مخطئة في نصيحتي لك»

اقل. لا شك انك لا تزالين تذكرين باني خطبت زينة منذ سنتين وقد ظننت نفسي في ذلك الوقت اسعد انسان في العالم لحصولي على عروس مثلها

قلت وهل تشك في ذلك الان؟ — اني اعرف كثيرين من الشبان الذين لم يزالوا يحسدونك على هذه النعمة

اجاب «لا اخفي عليك انني خطبتها ليس لاني احببتها بل لاني وجدتها اوفق من غيرها — فهي جميلة الوجه رشيقة القوام رضية الخلق لينة العريكة حاوة المعشر — وهذه هي الصفات التي كنت اطلبها في شريكة حياتي واذ وجدتها مجتمعة في شخص زينة خطبتها

قلت وهل تغيرت في زينة هذه الصفات؟ لا اخال ذلك ممكنا فجميعها صفات طبيعية غريزية تزداد وتنمو في الانسان عوضا عن ان تنقص

قال — لا. ان زينة لم تزل كما هي ولكني انا تغيرت

قلت وكيف ذلك؟

قال — لما خطبت زينة كان مركزي الادبي لا يفوق مركزها فهي تعرف القراءة البسيطة ولم اكن محتاجا اذ ذاك الى فيلسوفة للقيام بالواجبات البيتية الزوجية. اما الان فقد ارتقيت في سلم الارتقاء الادبي وبقيت زينة على حالها — فيشق علي كثيرا ان تكون لي تلك المنزلة في الهيئة الاجتماعية وتكون امراتي ادنى مني بمراحل

قلت يا صديقي ان هذا ليس «مربط الفرس» كما يقولون — فزينة ليست فتاة جاهلة فاذا تزوجتها وساعدتها على الارتقاء كما ساعدك غيرك على ذلك — لا شك انها تساويك في المعرفة ان لم اقل انها تسبقك بمراحل» فتركك اياها لاجل هذا فقط مع صرف النظر عن باقي الصفات الحسنة المجتمعة فيها هو عار عليك فكان الاحرى بك ان تفتكر في ذلك قبل ان خطبتها

قال ولكني لا احبها واذا تزوجتها خجلت من الناس او اكراما لخاطر الاهل والاصدقاء او خوفا من كسر قلبها لانها تحبني محبة صادقة — فاني احرم نفسي السعادة واعيش تعيسا كل حياتي

قلت ان الشيء الوحيد الذي اوافقك عليه هو هذا — ان تتصرف كرجل وتبوح لزينة بحقيقة الحال وتتركها وشانها لتقترن برجل يحبها ويقدرها حق قدرها. اني انصحك هذه النصيحة ليس لكي اساعدك انت بل لكي اساعدها هي فانتشلها من ورطة اذا سقطت فيها تكون سببا لشقائها

قال وكيف ذلك؟ فان اقترنت بي زينة تكون هي الرابحة لاني ارقى منها في كل شيء — في العلم — في المنزلة الادبية والاجتماعية وفي المالية ايضا فان حصلت علي تنال مشتهاها اما انا فينتغص عيشي واكون المظلوم لا الظالم

قلت اخطأت في ظنك فزينة ليست من الفتيات الجاهلات اللواتي لا يطلبن في الزواج الا الثياب الجميلة والجواهر الثمينة — انها فتاة حكيمة عاقلة تطلب منك قليلك لا مالك فاذا تزوجتها وانت لا تحبها تكون قد قضيت على آمالها واحلامها الذهبية — اما انت فانك تتركها في البيت تقاسي العذاب اشكالا وترافق من تحب وتهوى دون زاجر او رادع

قال ان الذي يؤلمني هو اني لا اقوى على اطلاعها على حقيقة الحال فهي معلقة آمالها علي وانا يشق علي ان اكسر قلبها

قلت — ان انكسر قلبها الان فجرحه غير عميق وله دواء قريب — اما اذا كسرته بعد الزواج فليس له دواء. فيتألم ويموت من الجراح وتكون انت مجرم قاتل

* * *

كانت الخطبة باعتقاد اجدادنا كناية عن مصادقة بين اهل العروسين دون ان يكون لهما راي في ذلك وقد كانت بعض الطوائف المسيحية تحسبها نصف اكليل اي لا يمكن فسخها وكانت تجري غالبا وخصاصا في الشرق عن يد خوري او كاهن وبحضور جمهور من الانساء والاصدقاء. ولم تزل هذه العادة متبعة بين البعض من شعبنا السوري الى الان

اما الغربيون فقد اقتصروا في الخطبة على تقديم العريس خاتما للعروس يلبسها اياه في مكان يتفقان عليه اما في الجنينة او في المتنزه او في البيت. ويحسبون ايام الخطبة وقت التعارف والاختبار فتعاشره وتعاشرها وتلاحظ حركاته وصفاته ويلاحظ هو اخلاقها فاذا توافقت اذواقهما اقترنا والا ارجعت له الخاتم وذهب كل في سبيله

وفي نيويورك شريعة غريبة في بابها وهي انه يحق للرجل ان يفسخ الخطبة وكذلك يحق للفتاة ان ترد الخاتم لخطيبها بلا معارض او مانع. اما اذا وعد شاب فتاة ان يتزوجها دون ان يخطبها ثم اخلف بوعده فيحق للفتاة اذ ذاك ان ترفع دعواها للمحاكم وترافعه فتحكم عليه المحكمة في اكثر الاحايين بدفع غرامة مالية يتفق عليها المحامون والقاضي وتسمى تلك الغرامة (بلسم القلب الجريح) ويظهر من ذلك جليا ان الخطبة في نظرهم ليست رابطة لاحل لها بل بالعكس هي امتحان واختبار

اما نحن السوريين فلم نزل متمسكين بعاداتنا القديمة فيصعب علينا جدا فسخ الخطبة واذا وقع اختلاف بين الخطيبين تراكض الاهل والاصدقاء (للصلح بينهما) وكثيرا ما يجبرونهما على الاقتران حياء وخوفا من كلام الناس وهذا ما يزيد الشقاق والنفور بين العائلات

ولا يفهمن احد من كلامي اني احبذ خطة فسخ الخطبة كلما «دق الكوز بالجرة» او لاي سبب تافه. ولكني اعتقد ان فسخها لاسباب جوهرية كعدم وجود المحبة والتآلف بين القلبين هو ضروري — وللفتاة حق ازجاع الخاتم كما للشاب حق فسخ الخطبة

ساد بيننا نحن الشرقيين الاعتقاد انه اذا فسخت خطبة الفتاة مرة او مرتين لا يعود احد ياخذها فينظر اليها الناس كانها اتت ذنبا لا يغتفر فتصبح تلك المسكينة في قلق دائم على مستقبلها وفي اكثر الاحايين تنزوي في البيت وتبتعد عن معاشرة الناس ما استطاعت فتثبت على نفسها الذنب مع انها تكون بريئة ولا يشفع لها بين الناس سوى جمالها ان كانت جميلة او غناها ان كان والدها مثريا اما اذا كانت فقيرة او متوسطة الحال فيقضي عليها ان تصرف باقي حياتها في العزلة

اما صاحبنا الشاب فكلما فسخ الخطبة عن بنت بيته عجبا بنفسه كانه اتى امرا عظيما وهو اذا مثل يجيب — «الف قلب ولا غلبه» — وكلامه هذا صحيح فلو اتفقت الفتيات واضربن عن الزواج بشبان هذه صفاتهم كما هم يعاملونهن لتحسنت الحالة واصبح الشبان يحترمون قلوبهن فالعبث بالقلوب الان هو من اهم اعمال بعضهم

ولتعلم الفتاة التي تفسخ خطبتها لعدم وجود المحبة في قلب خطيبها لها ان لا عار في ذلك عليها — بل لتشكر الله انها تخلصت من الورطة قبل الوقوع فيها. فخير لها ان ترجع من اول الطريق من ان تصل الى اخرها فيودي ذلك اما الى المحكمة او الى القبر

«فكتوريا»

卐 卐 卐